المبحث الخامس

الإســـلام والطـــلاق

الطـلاق حـل لعقـدة ، وبـت حبـال ، وتمزيـق شـمل ، وزيـال خيط ، وانقضاض سامر ، فيه كل ما فى هذه المركبات الإضافية التـى استعملها شـعراء العرب ، وجرت فـى أدائهم العاطفيـة مجرى الأمثـال ، مـن التيـاع وحرارة ، وحسرة ومرارة ، ويزيـد عليهـا جميعـا بمعنـى آخر ، وهو ما يصحبه من الحقد والبغض والتألم والتظلم.

لهـذه الملابسـات التـى هـى من مقتضـيات الفطـر السـليمة ، والطبـاع الرقيقة ، شرعه الإسـلام مقيدا بقيود فطريـة حكيمـة ، وقيود شرعية قويمـة ، اعتمد فـى تنفيذها بعد فهم المراد منها علـى إيمـان المؤمن ، وشرع له من المخففات ما يهون وقعه كالتمتيع ومد الأمل بالمراجعـة ، وتوسيع العصمة إلـى الثلاث ، حتـى تمكن الفيئـة إلـى العشرة ، ومـا وصـفه فـى القرآن بالسـراح والتسـريح والإحسـان ، إلا تلطيف إلهـى فـى أسلوب معجز يبعث فـى النفوس المؤمنـة نفحـات تلطف ، ومـا تزال تلطف من غلظ الإحساس وعرام الحيوانية حتـى يصير الطلاق "عملية بلا ألم".

والزواج عقد بين قلبين ، ووصل بين نفسين ، ومزج بين روحين – وفى الأخير – تقريب بين جسيمين ، فإذا تراخت عراه بين القلبين ضاعت حكمة الله فى السكون والرحمة والعطف، وهنا يدخل العقل مصلحا بلغة المصلحة والتعاون والإحسان ، وشفاعة النسل (إن كان) ، فإذا زاغت الفطرة من أحد الزوجين عن محورها ، أو طغت الغرائز الحيوانية على الفضائل الإنسانية فى أحدهما أو كليهما ، ولم يقم العقل وحده أو مع الحكمين ، بإصلاح ذات البين ، فالله أرحم من أن يكلف عباده تحمل هذا النوع من العذاب النفسى ، وهو الجمع بين قلبين لم يأتلفا ، وطبعين لم يتحدا ، وروحين لم يتعارفا ، لذلك شرع لهما الطلاق ليستريح إليه من ضاق ذرعا بصاحبه ضيقا معقولا بدواعيه وأسبابه ، ولما كان من بعض أسباب الطلاق ما يزول فتتجاوب النفسان من جديد ، وتتراجعان الحنين إلى العشرة ، وشرع الإسلام تلك المطلقات التى ذكرنا بعضها ، والتى تبقى على أصل الصلة ، وتحفظ "خط الرجعة" .

لقد جهل المسلمون حقائق دينهم ، وجهلوا الحكم المنوطة تحت أحكامه ، ومن أسباب ذلك جفاف الفقه عند الفقهاء لأخذهم إياه من كتب تعلم الأحكام ولا تبين الحكم ، فأثر ذلك فى نفوس المتفقهه – وهم مرجع العامة فى سياسة الإفتاء – آثارا سيئة ، منها اعتبار تلك الأحكام تعبدية ، تحفظ ألفاظها ، ولا يتحرك الفكر فى

التماس عللها ، وطلب حكما ، وتعرف طلب الإسلام منها ، وتصفح وجوه المصلحة والمفسدة فيها . وزاد الطين بلة وضع منحرف لمكان الزوجة متزوجها ، حتى أصبح متخلخلا متزلزلا لا استقرار له ، وما جاء هذا الخلل إلا من سوء فهم من الرجل ، انبنى عليه سوء تصرف منه فى الحق الذى خوله الشارع ، وهو أنه يملك العصمة ، وما جاء سوء الفهم من سوء التفهيم من الفقيه ، فالفقيه لا يعرف إلا العصمة بيد الزوج ، لأنه لا يجد فى كتب الفقه إلا هذا ، وهو حق فى أصل الشريعة ، ولكن الإسلام لا يعطى هذه الحقوق أو هذه الامتيازات إلى الجاهلين المتحللين من قيود الإسلام ، فهو لا يقل شناعة وسوء أثر من إعطاء السلاح للمجانين.

أيها المسلمون :

إن عقدة الزواج عقدة مؤكدة ، يحافظ عليها الأحرار ، ويتلاعب بها الفجار ، وإن العصمة امتياز لرجالكم ، ما لم تطغوا فيه وتظلموا ، فإذا طغيتم فيه وجرتم عن القصد ، كما هى حالتكم اليوم ، انتزعه منكم القضاء الإسلامى العادل لو كان. فإذا لم يكن عاقبكم الله بعذاب الخزى .

إن الأمة لا تنعم بأطفالها صغارا ، ولا تنتفع بهم كبارا ، إلا إذا نشأوا متقلبين فى أحضان الآباء والأمهات ، متلقين لدروس العطف والحنان من قلبين متعاطفين ، لا من قلب واحد. أيدرى

المتساهلون فى الطلاق ماذا جنوا على أنفسهم وعلى أبنائهم وعلى أمتهم؟

العـــــدة

إذا ما حصلت فرقة بين الزوجين بطلاق أو وفاة فإن آثار الزوجية لا تزول دفعة واحدة ، بل منها ما يتأخر زواله إلى حين، وليس ذلك اعتباطيا ، وإنما لحكم أرادها منشئ الأنفس عز وجل ... من ذلك المدة الزمنية التى تتربص فيها المرأة المفارقة لزوجها والتى نسميها "عدة".

أولا – تعريفها:

- **العدة لغة** : مأخوذة من العد بمعنى الحساب والإحصاء.
- **العدة شرعا** : هى تربص المرأة مدة معلومة مقدرة شرعا علامة على براءة رحمها ، وفيها نوع من التعبد.

ثانيا- حكمها:

العدة واجبة شرعا ، لأدلة من الكتاب والسنة والإجماع.

فقوله تعالى:

﴿ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ ﴾ [1]

1- سورة البقرة : 235

obeikandl.com

أى حتى تنتهى العدة – هذا بالإضافة إلى الآيات الكثيرة التى بينت أنواع العدد ومدتها ، والتى سنتعرض لها لاحقا.

– من السنة أمر النبى ﷺ فاطمة بنت قيس أن تعتد فى بيت ابن أم مكتوم – رضى الله عنه. [1]

ثالثا. الحكمة التشريعية من العدة:

أ – فى الطلاق البائن : هو معرفة براءة الرحم للتأكد من أن المرأة ليست حاملا من زوجها الأول ، لئلا تختلط الأنساب ، من أجل ذلك لم تشرع العدة على المرأة المطلقة التى لم يدخل بها زوجها.

ب– فى الطلاق الرجعى: إضافة إلى ما سبق ، فالعدة فرصة لهدوء الأعصاب وذهاب الغضب وزوال التوتر ، فإذا تحقق هذا أمكن للزوجين أن يتراجعا.

ج– فى عدة الوفاة: إضافة إلى ما سبق فى عدة الطلاق البائن ، فعدة الوفاة احترام لمشاعر زوجة فقدت أقرب مخلوق إليها ، فكان تشريع العدة تقديرا لموقفها ، وفسحة زمنية حتى يخف وقع المصاب على نفسها.

1– رواه أحمد وأبو داود والنسائى

obeikandl.com

رابعا- أنواع العدة ومقاديرها:

1- **عدة الحوامل** : هو أن تضع حملها سواء كانت مطلقة أو مات عنها زوجها ، قال الله تعالى:

﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾ [1]

2- **عدة المتوفى عنها زوجها:** أن تنتظر أربعة أشهر وعشرة أيام من يوم وفاة زوجها ، قال الله تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾ [2]

وفى السنة: عن أم حبيبة – رضى الله عنها – قالت : سمعت النبى ﷺ يقول " لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحد على ميت فوق ثلاث إلا على زوج فإنها تحد عليه أربعة أشهر وعشرا" [3]

3- **عدة المطلقة التى تحيض:** تقدر بثلاثة قروء – أى ثلاثة أطهار – فإذا طلقت وهى طاهر احتسب بقية الطهر قرءا واحدا، ثم تحيض وتطهر، ثم تحيض وتطهر، وهنا تنتهى عدتها.

1- سورة الطلاق : 4

2- سورة البقرة : 234

3- رواه الشيخان

obeikandl.com

4- **عدة المطلقة التى لا تحيض:** إذا كانت المرأة لا تحيض أصلا لكبر سن ، فعدتها ثلاثة أشهر ، لقوله تعالى:

﴿ وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَ ﴾ [1]

5- **عدة المرتابة والمستحاضة:** المرتابة هى التى كانت تحيض ثم انقطع حيضها ، واستمر مدة غير معتادة ، والمستحاضة هى التى اختلط عليها دم الحيض بدم المرض ، ولم تعد تفرق بينهما. وعدة هاتين المرأتين أن تنتظر سنة كاملة.

6- **عدة المفقود زوجها:** إذا غاب الزوج وانقطعت أخباره ، ولم يعلم أحى هو أو ميت ، انتظرت حتى يصدر القضاء فى حقه الميت الحكمى ثم تعتد عدة الوفاة (أى أربعة أشهر وعشرة أيام).

خامسا: تداخل العدد:

- المرأة المطلقة طلاقا رجعيا ثم مات زوجها وهى فى العدة ، انتقلت إلى عدة الوفاة ، أما إذا كان الطلاق بائنا فإنها تكمل العدة بالإقراء أو بالأشهر ، وذلك لانقطاع الزوجية بينهما.

1- سورة الطلاق : 4

- إذا شرعت فى العدة بالإقراء أو بالشهور ثم ظهرت عليها أعراض الحمل انتثلت إلى العدة بوضع الحمل.
- إذا شرعت فى عدة الوفاة ثم ظهر لها الحمل انتقلت إلى العدة بوضع الحمل.

الخلع وأحكامه

إن الشارع الحكيم لم يهمل جانب المرأة بل شرع لها طريقا للخلاص من حياة زوجية لا تجد فيها راحتها واستقرارها، فجعل لها أن تفتدى نفسها بمال تدفعه لزوجها تعويضا له عما دفعه إليها حتى لا يضار هو الآخر ، وهذا الافتداء هو المسمى بالخلع عند جمهور الفقهاء.

أولا – تعريفه:

الخلع لغة: هو الإزالة ، يقال : خلع الرجل ثوبه إذا أزاله، والزوجان كل واحد منهما لباس للآخر ، قال الله تعالى:

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ﴾ [1]

فإذا افترقا فقد خلعا لباس الزوجية.

1- سورة البقرة : 187

obeikandl.com

ثانيا – حكمه:

الجواز والإباحة كالطلاق ، وقد ثبتت مشروعيته بالكتاب والسنة.

– **من الكتاب** قوله تعالى:

﴿ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦ ﴾ [1]

– **من السنة** : عن ابن عباس – رضى الله عنهما (أن امرأة ثابت بن قيس أتت النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله ثابت بن قيس ما أعتب عليه فى خلق ولا دين ولكنى أكره الكفر فى الإسلام فقال رسول الله ﷺ أتردين عليه حديقته؟ قالت: نعم. قال رسول الله ﷺ اقبل الحديقة وطلقها تطليقة) [2]

ولا يمكن أن نمر على هذا الحديث دون أن نسجل ما يلى:

– أن المرأة عبرت عن عواطفها بكل حرية وطلاقة وبدون أى عقدة فى حضرة النبى ﷺ مما يوحى أن مجتمع عهد النبوة كان خاليا من العقد ومن أى شكل من أشكال الكبت.

– إن من واقعية التشريع الإسلامى اعتبار الجانب العاطفى مقوما أساسيا من مقومات الحياة الزوجية ، وهذا الذى يفسر عدم إنكار

1– سورة البقرة : 229

2– رواه البخارى

النبى ﷺ على المرأة طلبها الانفصال رغم ما شهدتن به لزوجها من استقامة وحسن عشرتها.

- إنصاف هذه المرأة لزوجها بذكرها محاسنه رغم رغبتها فى الانفصال ، وكذا خوفها الشديد من عدم إيفائه حقه فى الخدمة وحسن المعاشرة واعتبارها ذلك كفرا يعكس معدن هذه المرأة نتاج التربية الإسلامية الصحيحة. علما بأن رسول الله ﷺ قد حذر المرأة من طلب الخلع لغير حاجة ففى الحديث: (أيما امرأة سألت زوجها طلاقا من غير بأس فحرام عليها رائحة الجنة) [1]

ثالثا. الحكمة التشريعية:

إن الزوجة قد تبغض زوجها ولا تجد فى المقام معه ما كانت تنشده أو وتشتد كراهتها له ، بحيث تخشى ألا توفيه حقه أو تخرج عن الطريق المستقيم فى معاملته ، وهى لا تمتلك الطلاق فأخرجها الشارع من هذا المخرج ، وشرع لها الافتداء للتخلص من رابطة الزوجية على وجه لا رجعة فيه. وهذا تشريع روعى فيه مصلحة الطرفين معا ، فالمرأة تأمن من الاستمرار فى علاقة لا ترغب فيها ، والرجل يعوض عن الضرر المادى الذى لحق به.

رابعا. أركانه:

1- رواه ابن ماجه والترمذى

openkandil.com

- الزوجة : ويشترط أن يكون الخلع منها اختياريا وحبا فى الفراق من غير إكراه.
- الزوج : ويشترط أن يكون فى كامل قواه العقلية حين الخلع.
- العوض : وهو ما تدفعه المرأة للزوج ، وقد يكون مساويا للصداق أو أكثر منه أو أقل حسب الاتفاق بينهما.
- الصيغة : كأن يقول الزوج : خالعتك ، أو طلقتك مقابل العوض الذى تدفعينه...

خامسا. بعض أحكام الخلع:

- يصح الخلع فى أيام الحيض ، بخلاف الطلاق.
- لا يحتاج الخلع إلى حكم القاضى ، ويمكن أن يتم باتفاق الزوجين فقط.
- من طلبت الخلع من زوجها ، ودفعت له العوض ، وثبت أنها فعلت ذلك بسبب إضرار الزوج بها كان لها الحق فى استرجاع العوض.
- يقع الخلع طلاقا بائنا بينونة صغرى ، وعليه لا يمكن للزوجين أن يتراجعا إلا بعقد جديد.

البيوت التى تبنى على الحب

obeikandl.com

هناك معالم ثلاثة ينبغى أن تتوفر فى البيت المسلم ، أو أن تظهر فى كيانه المعنوى ليؤدى رسالته ويحقق وظيفته ، هذه الثلاثة هى السكينة والمودة والتراحم. وأعنى بالسكينة الاستقرار النفسى ، فتكون الزوجة قرة عين لرجلها لا يعدوها إلى أخرى كما يكون الزوج قرة عين لامرأته لا تفكر فى غيره. أما المودة فهى شعور متبادل بالحب يجعل العلاقة قائمة على الرضا والسعادة ..

ويجئ دور الرحمة لنعلم أن هذه الصفة أساس الأخلاق العظيمة فى الرجال والنساء على سواء فالله – سبحانه وتعالى – يقول لنبيه ﷺ : فليست الرحمة لونا من الشفقة العارضة ، وإنما هى نبع للرقة الدائمة ودماثة الخلق وشرف السيرة.

وعندما تقوم البيوت على السكن المستقر ، والود المتصل، والتراحم الحانى ، فإن الزواج يكون أشرف النعم ، وأبركها أثرا.. وسوف يتغلب على عقبات كثيرة ، وما تكون منه إلا الذريات الجيدة. لقد شعرت أن أغلب ما يكون بين الأولاد من حقد وتناكر يرجع إلى اعتلال العلاقة الزوجية ، وفساد ذات البين.

إن الدين لا يكبت مطالب الفطرة ، ولا يصادر أشواق النفس إلى الرضا والراحة والبشاشة ، وللإنسان عندما يقرر الزواج أن يتحرى عن وجود الخصال التى ينشدها وأظن ذلك حق المرأة فيمن

تختاره بعلا .. فإذا صدق الخبر الخبَر صح الزواج وبقى ، وإلا تعرض مستقبله للغيوم.

وقد لاحظت أن الخطب قد يتكلف أخلاقا إلى حين ، فإن كان غضوبا تصنع الحلم ، وإن كان شحيحا تصنع الكرم. حتى إذا زفت إليه امرأته انكشف المخبوء ، وبدت خلائقه الطبيعية ، وفوجئت المرأة بما لم تكن تعهد ، فإذا هى تقول مع الشاعر المدهوش:

كل يوم تبدى صروف الليالى خلقا من أبى سعيد عجيبا

وقد يعطى الموافقة على مهر معين يجعله فى ذمته ، فإذا تم العقد والدخول نسى الوفاء بما تعهد به ، ، وقد حذر الإسلام من أنواع الغدر التى يلجأ إليها ضعاف النفوس ، وفى الحديث الشريف : " أيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثر، ليس فى نفسه أن يؤدى إليها حقها ، خدعها فمات ولم يؤد إليها حقها ، لقى الله تعالى يوم القيامة وهو زانٍ ، وأيما رجل استدان دينا لا يريد أن يؤدى إلى صاحبه حقه خدعه حتى أخذ ماله ، فمات ولم يؤد دينه ، لقى الله وهو سارق"

إن الزواج ليس نزوة عابرة ، إنه صحبة دائمة وميثاق غليظ ، وشركة فى حياة لا تتحمل هزلا ولا عبثا ، فما ارتبط به الزوج أو الزوجة من شروط لا يسوغ فيه تحريف ولا تقصير ..

والوفاء بالمهر ليس إلا مثلا يذكر لما يجب أن يكتنف الزوجية من صدق وشرف ، ولو أن رجلا عرض نفسه على أنه حليم أو سمح فليثبت على هذه الخلال التى ادعاها ، وليتكلفها إن لم تكن فيه ، فإن بركات الله تنزل على أهل الصدق ، وتجعل المعيشة أحلى وأبقى .. بل إن المرأة قد تتنازل عن حقها المالى كله أو بعضه عندما ترى زوجها كريم الشمائل نبيل السجايا ، والتى تعطى نفسها لا تضمن بمال ..

وهناك رجال يحسبون أن لهم حقوقا ، وليس عليهم واجبات ، فهو يعيش فى قوقعة من أنانيته مآربه وحدها ، غير شاعر بالطرف الآخر ، وما ينبغى. والبيت فى المسلم يقوم على قاعدة عادلة : وهى درجة القوامة أو رياسة هذه الشركة الحية .. وما تصلح شركة بدون رئيس.

وبداية أن تكون هذه الرياسة ملغية لرأى الزوجة ، ومصالحها المشروعة أدبية كانت أو مادية ..

إن الوظيفة الاجتماعية للبيت المسلم تتطلب مؤهلات معينة، فإذا عز وجودها فلا معنى لعقد الزواج ، وهذه المؤهلات مفروضة على الرجل وعلى المرأة معا ، فمن شعر بالعجز عنها فلا حق له فى الزواج.

إذا كانت المرأة ناضبة الحنان ، قاسية الفؤاد ، قوية الشعور بما لها ، بليدة الإحساس بمكالب غيرها فخير لها أن تظل وحيدة ، فلن تصلح ربة بيت. إن الزوج قد يمرض وتزيد عليه العلة ،

فتضيق به الممرضة المستأجرة ، المفروض أن تكون زوجته أصبر من غيرها وأظهر بشاشة وأملا ودعاء له.

ومنطق الحب الشريف يعطى من الوفاء والولاء ما لا تعرفه القوانين التجارية والمبادلات المنفعية ، وما أكثر أن يفتدى الرجل بيته بحياته وتفتدى المرأة بيتها بحياتها ..

وما نقوله بالنسبة إلى المرأة نقوله بالنسبة إلى الرجل ، فالعاجز عن أعباء الأسرة المادية والأدبية لا يجوز له أن يتزوج وليسمع نصيحة الرسول الكريم ﷺ "**فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**" أى قاهر لغريزته.

openkandl.com